

الأصول الثلاثة

شرح فضيلة الشيخ

الحمد لله بنو الأصول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى
١٤٣٦ هـ.

الدرس الأول

كلمة توجيهية بمناسبة بدء الدراسة

بداية الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرِ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ أَمَّا بَعْدُ .

فمن نعم الله على المسلم أن يوفقه الله عز وجل لطلب العلم والاشتغال به عن سفايف الأمور، قال - صلى الله عليه وسلم - (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ، و- قال صلى الله عليه وسلم - (من سلك طريقا يلتمس فيه علما؛ سهل الله له طريقا إلى الجنة) .

بل؛ بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة حيث قال - صلى الله عليه وسلم - (**طلب العلم فريضة**) ، قال العلماء المراد بالعلم هنا في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - العلم الذي يحتاج إليه المرء لعبادة ربه في يومه وليلته وليس المراد أن يكون كل المسلمين علماء ؛ وإنما المراد أن يكون المسلم بصيرا بأمور دينه يعمل بعلم وبصيرة ؛ ولذلك فمن الخطأ الذي يقع فيه بعض المسلمين هدايا الله وإياهم

للصواب؛ أنه يظن أن العلم ليس من شأنه وأن طلب العلم إنما هو لأناس مخصوصين وهذا خطأ ؛ إذ أن الله عز وجل يقول ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ



كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾^(١) فأمرنا سبحانه وتعالى بسؤال العلماء والرجوع إليهم وهذا هو العلم وهذا هو التعلم وهذا هو التفقه في دين الله - عز وجل - .

فالمسلم الذي يهتم بالعلم الشرعي الذي حثه الشرع على تعلمه يكون على خير كبير ويكون في راحة بال بإذن الله تعالى ويُرجى له الثبات بإذن الله تعالى على الحق .

فطلب العلم والاشتغال به خير كبير وخير كثير، وأما الاشتغال بالدنيا والاهتمام بها فلا شك أن بعض المسلمين يهتم بأمور الدنيا ويهتم بما يتعلق بها اهتماما بالغاً مفصلاً في الوقت الذي قد يكون من أبعد الناس أو من أجهل الناس عن العلم بأمور دينه وكيف لا يقع في ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا (بأن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه) .

والعلم داخل في ذكر الله وما ولاه فأى سعادة للمرء حين يحقق لطلب العلم الشرعي فيبتعد عن حال الجهال الذين أضاعوا أوقاتهم فيما لا منفعة تعود عليهم وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعض الناس يتحسرون ويندمون على مجالس لهم في الدنيا مضت لم يذكروا فيها الله عز وجل فيبتعد طالب العلم عن حال الجهال كما يبتعد أيضاً عن حال المتعصبين الذين لم يرفعوا رأساً للعلم ولا للحجة ولم يحترموا الأدلة وساروا خلف من قوله ليس بحجة وألبسوه لباس المحجة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

فطالب العلم يترفع عن هاذين الحالين ويحرص على الدليل ويحرص على أن يأخذ العلم من أهله المعروفين به الذين ورثوا سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - علماً وعملاً قولاً وفعلاً واعتقاداً ونحن في هذا الصرح العلمي (معهد الميراث النبوي) نقف في تتبع الحق والدليل وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ونسير على ما سار عليه أئمة الدين ونرجع للعلماء الصادقين العاملين؛ العاملين بعلمهم وتبعهم في الحق

(١) سورة النحل (43)



الذي هم عليه ولا نتعصب لأحد فكل يصيب الحق ويخطئ .

كُلُّ يؤخذ من قوله ويُرد إلا الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما نحرص في هذا الصرح العلمي أن نحذّر من الفتن وأهلها وأن يجتنب المسلم الفتن وأن يجتنب حال الفتانين الذين يثيرون الفتن والقلاقل بين المسلمين ؛ الذين يطعنون في السلفيين ؛ الذين يمشون بالنميمة فيحذّرون من أهل الحق ؛ الذين يكذبون ويفترون على أهل الحق ؛ هذا من حال الفتانين ؛ أهل ظلم وبغي وفساد في الأرض فهم يفرقون بين المسلمين في وقت قد اجتمعت كلمتهم أو قربت فإذا بنا نرى بعض هؤلاء الفتانين يفرقون بين المسلمين بلا حجة وبلا هدي ؛ بل بالهوى وبالضلال وبالاتراء - ولا حول ولا قوة إلا بالله - لذا نحن طلبة العلم السلفيين ونحن أهل الحق السلفيين نحذّر من الفتن وأهلها ونحذّر من الفتانين ولا نظلم الناس ولا نؤذيهم والكلام فيهم إما بحجة وبرهان وإلا فإن المسلم الصادق الخائف من الله عز وجل يترفع أن يتكلم في غيره بغير حق وإني أشكر كل القائمين على هذا الصرح العلمي (**معهد الميراث النبوي**) على ما بذلوه من جهد ووقت وعمل دائب مستمر ليصل إلى هذه الدرجة من الإتقان فجزاهم الله خيرا .

وسوف تكون الدراسة بإذن الله تعالى في هذا المعهد في عدة علوم في العقيدة والتوحيد والمنهج وفي التفسير وفي علوم القرآن وفي الحديث وأصول الحديث وفي الفقه وفي أصول الفقه وقواعده وفي بعض علوم اللغة مما ييسره الله - عز وجل - لنا أن نتدارسه وأن نتذاكره فيما بيننا وسوف يتم بإذن الله تعالى شرح كتاب أو أكثر في هذه العلوم كما أنه سيكون بإذن الله تعالى على فترات ستكون هناك محاضرات وتوجيهات وتأصيلات وتقييدات علمية وسلفية مأخوذة من العلماء ومن تقييداتهم ومن الأدلة الشرعية من قبل وما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين وسوف نبدأ بإذن الله تعالى بدراسة مختصر في علم العقيدة مهم ومفيد وله مكانة عند العلماء ومنزلة



مشهورة معلومة ، هذا المختصر هو الأصول الثلاثة ، تأليف شيخ الإسلام بحق محمد بن عبد

الوهاب بن سليمان التميمي النجدي السلفي المولود سنة خمسة عشر ومائة وألف والمتوفى سنة ست ومائتين وألف رحمه الله تعالى هذا العالم الجليل ولد بالعينة وكان أبوه عالما كبيرا مشهورا بعلمه وكان جده عالم نجد في زمانه اشتغل بالعلم فحفظ القرآن وحفظ الأحاديث ولازم العلماء واستفاد منهم في التحرى في طلب الحق واستمر في ملازمة العلماء والرحلة إليهم ، فأخذ عن جلة من العلماء رحمة الله عليهم أجمعين ، له من المؤلفات كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، والأصول الستة والقواعد الأربع وغيرها من الكتب الكثيرة والمفيدة التي شهد له علماء عصره ومن بعدهم إلى يومنا هذا بالعلم والإتقان وحسن التصنيف ، وحسن المقصد وبإتباع الدليل ، رحمه الله رحمة واسعة ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ترجمته مشهورة ، ومستفيضة عند طلبة العلم وعند المسلمين ، وكتابه الأصول الثلاثة ، كما سبق هو رسالة صغيرة ، صغيرة الحجم لكنها كبيرة المعاني والفوائد ، كان العلماء يحفظونها طلاب العلم ، بل حتى العوام ، كان العلماء يحفظونها هذه المتون ، خصوصا الأصول الثلاثة ، وقد كتب بعض العلماء إلى بعض الأمراء يحثه على نشر هذه الرسالة -الأصول الثلاثة- في القرى والبوادي ، وان يُحفظها أئمة المساجد للعوام ، لذلك كان العوام في تلك السنين والأعوام ؛ كانوا يحفظون الأصول الثلاثة ، وكانوا يرددون على أهل الباطل ، من أهل الشراكيات لأنهم حفظوا هذه الأصول وفهموها فردوا على أي شبه يثيرها بعض القبورين وأهل الشرك ، مما فهموه من هذه الرسالة .

هذه الرسالة تضمنت المسائل الأربع العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر كما تضمنت بيان الحنيفية السمحة والتوحيد بأنواعه ، وبيان الولاء و البراء ، وبيان الأصول الثلاثة ، ما الأصول

الثلاثة ؟

1- من ربك .



2- ما دينك.

3- من نبيك .

الأسئلة التي يسأل عنها المرء في قبره، جعلها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى و بنى عليها هذه الأصول الثلاثة، معرفة الله ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وليس مقصود الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حصر الأصول في ثلاثة، لأن له الأصول الستة وإنما أراد أن هذه الأصول الثلاثة هي أصول مهمة وملمة للعلم، و أصول عظيمة لمن حفظها وفقها وتدبر معانيها لذلك أحث طلبة العلم وحتى عامة الناس، أحثهم على حفظها وعلى سماع أشرطة العلماء في شرحها، فقد شرحها جماعة من أهل العلم، فمن العلماء الذين شرحوها و كتبهم مطبوعة؛ شرحها العلامة ابن باز رحمه الله تعالى وكذا العلامة العثيمين وكذا العلامة النجمي والعلامة محمد أمان الجامي والعلامة زيد المدخلي، و أيضا هناك حاشية نفيسة لابن قاسم على الأصول الثلاثة رحمة الله عليهم أجمعين وغيرهم من أهل العلم قد شرحوها ولا زالوا إلى اليوم يشرحونها تسجل وتطبع في كتب متداولة بين طلبة العلم وهذا كما ينبه العلماء، أن الكتاب الذي يشرح و يتتبع العلماء على شرحه يدل على أمور منها : أنه كتاب مهم، وكتاب عظيم ومنها أن كثرة الشروح على الكتاب الواحد تعين طالب العلم وتعين المسلم على فهم هذا الكتاب ومنها أيضا تسهيل وبسط الشرح على هذا الكتاب بحيث يستنبط منه كل مؤلف وشارح الفوائد والحكم والمسائل التي أشار إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى -

وهذه الرسالة الأصول الثلاثة التي شرحها أو التي ألفها محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى سار فيها على الدليل ؛بناها على الدليل حال جميع مؤلفاته التي حرص فيها على الدليل والتي يري فيها طالب العلم على طلب الدليل والوقوف عليه وعلى التسليم للحق وعدم معارضته وعلى طلب الحجة والدليل كما سبق ،ونحن نفتقر إلى هذا،



فإن طلب الدليل وطلب الحجة نور على نور وطلب الدليل والحجة ينير لنا الطريق ويجعلنا على بصيرة، وطلب الدليل والحجة يذهب الفتن ويردع البدع والضلالات فمن تكلم بشيء فإما أن يأتي بالدليل والحجة والعلم المبني على ذلك وإلا فقله إما مزيف مردود وإما موقوف لا يُعلم حق أم باطل يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن هذه الرسالة قَرَرْتُ ثلاثة الأصول توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء والبراء وهذا هو حقيقة دين الإسلام ولكن قف عند هذه الألفاظ واطلب ما تضمنت من العلم والعمل ولا يمكن العلم إلا أنك تقف عند كل مسمى منها انتهى .

كما نقله بعض شراح الأصول الثلاثة إذا إخواني ؛بارك الله فيكم سنتدارس هذا المتن ونقف مع مسأله التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- .

قال رحمه الله تعالى - بسم الله الرحمن الرحيم - اعلم رحمك الله :

أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :

الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

الثانية : العمل به

الثالثة : الدعوة إليه

الرابعة : الصبر على الأذى فيه

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾^(٢)

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم .

وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب، العلم قبل القول والعمل .

والدليل قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ ﴾ (١٩) (٣) فبدأ بالعلم

قبل القول والعمل .

هذه الجمل المفيدة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى سنقف معها جملة جملة ، قوله - رحمه الله تعالى - : **بسم الله الرحمن الرحيم** ابتداء الكلام وابتداء الرسالة بالبسملة بسم الله الرحمن الرحيم اقتداء بالقرآن الكريم حيث أن البسملة في أوله وأيضا جاء عن بعض السلف أنه كان يكتب البسملة في أول الكلام وأما حديث (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتى) وفي لفظ أقطع أو أجزم فهو حديث ضعيف ضعفه الألباني - رحمه الله تعالى - في إرواء الغليل فلا يجوز للمسلم أن ينسب هذا الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث ضعيف وإن اشتهر وتداول عند بعض الناس وهنا لا بد أن يعود طالب العلم نفسه يُعوّد نفسه على ماذا ؟ يُعوّدها على البحث عن الحق وأن لا يرد الحق لمعلومات سابقة عنده وأن يتجرد للحق ؛ نعم قد تكون تعلمت أن هذا الحديث حسن أو صحيح ولكن الصحيح بعد البحث والنظر والتتبع لطرقه كما قام بذلك الإمام الألباني - رحمه الله تعالى - في إرواء الغليل وجزم بضعفه من كل طريقه ، فلا يسوغ لك ولا يجوز لك يا عبد الله أن تستدل به مرة أخرى إلا محذرا منه ومبينا ضعفه ونكتفي بأنه في أول القرآن كما مر معنا وأن بعض السلف كان يكتب البسملة في بعض رسائله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك الله:

قوله " اعلم " أي تيقن واجزم ولا يكن عندك شك ، والإتيان بكلمة "اعلم " تفيد الانتباه والتنبيه لطالب العلم للمسائل التي سيذكرها وهي مسائل حقيق أن يهتم بها وأن يلتفت إليها وأن تحفظ ثم دعا له بأن يرحمه الله -عز وجل- وهذا من حسن تربيته وعنايته أن يدعو لإخوانه المسلمين وأن يدعو لطلاب العلم وهذه صفة العالم ، العالم يحرص على الخير وعلى النفع وعلى هداية الناس وعلى أن يكون المسلم مستنيرا بالحق عاملا به ، وأما الغلظة والفظاظة و الشدة على المسلمين الذين هم على الحق فليست من الحق وليست من مسلك العلماء ولا من هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد كان أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- لما يرى طلاب العلم يحتفي بهم ويقول مرحبا بوصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان العلماء يسألون عن أحوال طلابهم ويهتمون بهم لذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى نجد هذا الأسلوب وهذه الرحمة وهذه الشفقة في غالب كتبه فجزاه الله خيرا .

قال " اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل "

قوله " يجب علينا " أي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم هذه المسائل الأربعة وأن يتقنها لأنها مما أمر الله عز وجل بتعلمها ولأنها مما يقوم عليها دين المرء فلا ينبغي لمسلم أن يجهلها فضلا على أن يتجاهلها وأن لا يهتم بها ، هذه الأربع مسائل يبين لنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- أنها مما يجب علينا أن نتعلمها كما تجب عليك بعض العبادات فتعلم هذه المسائل من العبادات الواجبة عليك يا عبد الله ويا أمة الله .

ما هي المسألة الأولى :

قال العلم : وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

ومعرفة العلم : أي العلم الشرعي والمراد من العلم معرفة الله عز وجل .

أن تعرف الله بأنه سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المدبر الذي بيده الأمور كلها وأن الناس والمخلوقين كلهم فقراء إلى الله عز وجل وأن الله -عز وجل- هو الغني ، فتعرفه بربوبيته سبحانه وتعالى ، وتعرفه بالوهيته بأنه المستحق أن يصرف إليه



وأن تصرف إليه جميع أنواع العبادة قولاً وفعلاً واعتقاداً هو المستحق لها سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿١٦٣﴾ (٤) ومعرفة أسماؤه وصفاته ، أسماؤه الحسنى وصفاته العليا وأن له أسماءً وصفاتٍ تليق بجلاله - سبحانه وتعالى -

نؤمنُ بها على حقيقتها كما أثبتها - سبحانه وتعالى - في كتابه و أثبتها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سنته على ما يليق به من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ .. ومن العلم الذي يجبُ أن نتعلمه معرفة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - و أنه يجبُ أن يُطاع لأنه رسولُ من الله عزَّ وجل ، وأنه بشرٌ - صلى الله عليه وسلم - بشرٌ - عليه الصلاة والسلام - يوحى إليه ، فيُطاع فيما أمر ، و يُجتنبُ فما نهى عنه و زجر ، و يُصدَّقُ صلى الله عليه وسلم فيما أخبر .

و معرفة دين الإسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله ، وبلغه أتمَّ البلاغ و أكمله قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) (٥)

فلا بد من العلم بهذه الأمور وأن يتدبر العبد هذه المسألة الأولى ، والتي سيأتي إن شاء الله الكثير من تفاصيلها في الأصول الثلاثة حين يتكلم عنها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فإنه ذكرها هنا إجمالاً و سيُفصلها فيما يأتي .

ثم قال : نعمت إشراف الشيخ أحمد بارمبول - حفظه الله -

الثانية : العمل به

ليس المراد بالعلم أن تتباهى و أن تطغى به على الناس ، ليس المراد بالعلم أن تُذكر و أن يُرفع شأنك بين الناس ، إنما المراد به أن تعمل به لله عزَّ وجل وأن تمتثل أوامر الله عزَّ وجل فلا بد من العلم ولا بد من العمل به ، فإن الإيمان كما يقول الحسن البصري : (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

فمن قال خيراً وعَمِلَ خيراً قُبِلَ منه ، و من قال خيراً و عَمِلَ شراً لم يُقْبَلْ منه .

(٤) سورة الأنعام (162 - 163)

(٥) سورة المائدة (3)



ولا شك أن العمل هو ثمرة العلم ، و العلم يقود إلى العمل ، وجاء عن بعض السلف أنه قال : ((هتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل)) ، لا بد أن تعمل بالعلم ومن أبرز الأمور المتعلقة بالعلم الإخلاص لله عزّ وجل ، أن يكون مقصودك الله عزّ وجل و أن لا تراقب الناس و أن لا تعمل للناس وإنما تراقب الله عزّ وجل، العمل بالعلم في متابعة سنّة الرسول -صَلَّى الله عليه وسلم- في شأنه وأحواله عليه الصلاة والسلام، العمل بالعلم أن تكون تقيّاً ، نقيّاً ، لا غلّ ولا حسد ولا أذى، وإلى أن يتعلم المرء أن أذية المسلمين حرامٌ و يؤذيهما ما فائدة العلم حينها، يكون العلم حجةً عليه ، لا حجةً له .

من يتعلم أن السنّة و أهلها غرباء فهم بحاجة إلى من ينصرهم و يؤيدهم ثم ينصر أهل البدع و الأهواء ، فأَيّ فائدة في العلم هذا .

العمل بالعلم لو قام به أهله والله لقلّت الفتن ، لو قام به أهله لتقاربت القلوب على الحق لكن هي فتن وابتلاء من الله عز وجل يتعلم المرء من العلم ما يكون حجة عليه و يتعلم الآخر من العلم ما يكون حجة له فلا بد من العمل بالعلم ولذلك من صفات العالم عند أهل العلم أن يكون عالماً عاملاً، وإلا فلو كان عنده علم ، ثم نجد في أعماله الخبث والأذية والفساد والتفريق بين المسلمين ، ونجد في أعماله تحزيب المسلمين فلا شك أن هذا ليس بعالم يؤخذ منه العلم ، فما بالك لو كان هذا الذي يعمل هذه الأعمال لا يُعد طالب علم ولا يستحق أن يوصف بأنه عالم ، فلا شك أن هذا لم يستفد من علمه ، وأن المسلم عليه أن يتعد عن أمثال هؤلاء كما نبّه على ذلك أهل العلم ، إذاً فلا بُدّ من العلم ، ولا بدّ أيضاً من العمل ، لماذا العلم ؟ لماذا لا بدّ من العلم ؟

حتى لا تتكلم في دين الله إلا ببصيرة ، فلا تكثُر أخطاؤك ، ولا تكثُر مخالفاتك ، فإن الخطأ الذي مثله لا يُحتمل من طالب العلم ، جهله يؤثر عند العلماء في قيمة هذا المخطئ وفي بعده عن الحق ، فما بالك حينما يُخطئ في مسائل تتعلق بالعقيدة والتوحيد ، ومسائل تتعلق بالشرك والتحذير منه ، ومسائل تتعلق بالمنهج ، هي مسائل واضحة ظاهرات يفهمها

طلّاب العلم الصغار قبل الكبار ممّا يدل على أن هذا إما أنه لم يُحصّل العلم بطريقة شرعية وإما إنه قد انحرف وزاغ قلبه عن الحق ، نسأل الله السلامة والعافية ، ثمّ الثالثة بعد أن تعلم وأن تعمل لا بُدّ أن تدعو إلى العلم أن تُعلم



الناس بحسب استطاعتك ، فَمَا تَعَلَّمْتَهُ لَا مَانِعَ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ تُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ، وَهَذَا لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ أَمْرِ مُهِمٍّ وَهُوَ أَنَّ بَيَانَكَ وَنَقْلَكَ لِلْحَقِّ وَلِلْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ لِلْعُلَمَاءِ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْفَتْوَى وَلَيْسَ مِنْ بَابِ التَّصَدُّرِ ، فَلَوْ تَعَلَّمْتَ مِثْلًا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ : أَنْ قَوْلَ (وَالنَّبِيِّ) لَا يَجُوزُ ، وَأَنْ قَوْلَ (وَالنَّبِيِّ) مِنَ الشَّرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ فَلْيَصُمْتُ) وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ ، وَلَا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى) (وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ) فَلَمَّا تَسْمَعُ هَذَا وَتَسْمَعُ رَجُلًا آخَرَ يَقُولُ : (وَالنَّبِيِّ) فَهَذَا يَقُولُ لَهُ يَا أَخِي اتَّقِ اللَّهَ لَا تَقُلْ وَالنَّبِيِّ ، قُلْ وَاللَّهِ ، أَوْ لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ تَذَكَّرْ لَهُ الْأَدْلَةَ الَّتِي سَمِعْتَهَا ، هَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّصَدُّرِ ، هَذَا مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِعِلْمٍ وَحُكْمَةٍ ، فَهَذَا لَا مَانِعَ مِنْهُ ، لِأَنَّا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْأَسَفِ يَرَى خَطَأً وَيَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ مِنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ وَيَعْرِفُ الدَّلِيلَ وَلَكِنْ يَسْكُتُ ، فَتَقُولُ لَهُ لِمَاذَا لَمْ تُنْكِرْ؟ يَقُولُ يَا أَخِي لَسْتُ عَالِمًا ، هَذَا خَطَأٌ ، هَذِهِ شُبْهَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ لَكِي لَا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْلَمُوا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ أَنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مَسْأَلَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ بِدَلِيلِهَا وَوَجَدْنَا مِنْ يُخْطِئُ فِيهَا أَنَّهُ يُشْرِعُ لَنَا أَنْ نُنبِّهَهُ وَأَنْ نَذَلَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْ نُرْشِدَهُ إِلَى الْخَيْرِ ، وَأَمَّا الْإِشْتَغَالُ بِالْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ وَطُرُقِ الْإِسْتِدْلَالِ وَالْمُنَاقَشَاتِ وَالْمُنَظَرَاتِ وَإِيرَادِ الْحُجَجِ فَهَذِهِ لِلْعُلَمَاءِ وَلِطُلَّابِ الْعِلْمِ الْمُتِمَكِّنِينَ فِي عِلْمِهِمْ فَلَا مَانِعَ ، أَمَّا الْعَوَامُ فَلَا يَخُوضُونَ فِيهَا فَإِذَا يَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ دَقَائِقِ الْمَسَائِلِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَلْقَيْنَاهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَدْلَتِهَا ، فَالْعَامِّيُّ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ وَلَكِنْ لَا يَخُوضُ فِي الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ ، وَأَيْضًا مِنَ الْمُهِمِّ أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ وَهِيَ أَنَّ الْعَامِّيَّ وَالْعَالِمَ إِذَا جَاءَ فِي مَسْأَلَةٍ لَا يَعْرِفُ دَلِيلَهَا وَلَا يُحْسِنُهَا فَلَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ فِيهَا وَلَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ لَقَلَّ الْخِلَافُ وَلَوْ قَالَ مَنْ لَا يَدْرِي لَا أَدْرِي لَسَلِمَ ، وَكَانَ السَّلَفُ يُحَدِّثُونَ مِنَ الْفَتَوَى فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ وَلِلَّذِي تَجِدُ الَّذِي يُفْتِي دَائِمًا وَيَخْرُصُ عَلَى الْفَتَوَى وَيَتَصَدَّرُ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلَ وَيُشْهَدَ لَهُ بِجَدِّهِ عِنْدَهُ التَّخَبُّطَاتِ وَبِحَدِّهِ عِنْدَهُ كَثْرَةُ الْأَخْطَاءِ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ الصَّحِيحِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ لِيَنْتَشِرَ الْحَقُّ وَيُظْهَرَ دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَبَيَّنْتَ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ مُعَرَّضٌ لِلْأَذَى فَلَا بُدَّ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى الْأَذَى ، فَهَذَا



نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْذَى وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ كُلِّ الْحَرِصِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَ ذَلِكَ أَوْذَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَى وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْأَذَى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ ، وَفَرِّقْ بَيْنَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْأَذَى وَأَنْ يَسْئَلَكَ غَيْرَ السَّبِيلِ الصَّحِيحِ فَيُوبَقَ أَوْ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ فِي مَوَاطِنِ الْهَلَاكِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ وَيُؤْذَى فِي دَعْوَتِهِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَعْمَلُ أَعْمَالًا غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ وَ يَزْعُمُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ يَعْني يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فَيُؤْذَى وَأَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ لَا ، أَنْتَ تَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ بِهِ وَتَسِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامَ فَإِنْ عَلِمْتَ وَعَمِلْتَ وَسِرْتَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامَ فَأُودِيتَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلزُّومِ لِلْحَقِّ فَاصْبِرْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فَاصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ وَ الزَّمِ الصَّبْرَ ، لِمَادَا يُؤْذُونَكَ ؟ لِأَنَّكَ تَدْعُو النَّاسَ وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ جَانِبَيْنِ مِنْ جَانِبِ الشَّهَوَاتِ فَأَهْلُ الدُّنْيَا يَرْفُضُونَكَ يَرْفُضُونَكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَيُبْغِضُونَكَ وَأَهْلُ الشُّبُهَاتِ أَيْضًا يَرْفُضُونَكَ وَيَرْفُضُونَكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَيَحَارِبُونَكَ وَيُؤْذُونَكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ إِنَّمَا تَعْمَلُ لِلَّهِ لَا لِنَفْسِكَ فَمَا تَعَرَّضْتَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى لِمَا أَحْلَاهُ وَمَا أَلَذَّهُ وَأَطْعَمَهُ لِأَنَّهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَلِذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تَغْضَبُ إِنْ أُودِيتَ فَأَنْتَ عَلَيْكَ أَنْ تُرَاجِعَ هَلْ تَدْعُو إِلَى اللَّهِ أَمْ تَدْعُو إِلَى نَفْسِكَ ، فَلِذَلِكَ نَبَّهَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى ، نَعَمْ الْأَذَى يُصِيبُ الْمُسْلِمَ حَتَّى مِنْ بَعْضِ مَنْ هُوَ عَلَى - يَعْنِي قُرْبٍ مِنْهُ - إِمَّا حَسَدًا وَإِمَّا ظُلْمًا وَإِمَّا بَغْيًا ، قَدْ يَكُونُ مُوَافِقًا لَكَ فِي الْمَنْهَجِ وَيَدْعُو إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ وَلَكِنْ تَتَلَاعَبُ بِهِ الشَّيَاطِينُ فَيَقَعُ فِي الْحَسَدِ فَيُؤْذِيكَ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْكَ وَيُحَذِّرُ مِنْكَ وَيُبْغِضُكَ وَيَتَقَوَّلُ عَلَيْكَ ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا نَبِيهَا حَرِيصًا عَلَى الْحَقِّ وَأَنْ يَبْعُدَ عَنْ طُرُقِ الرَّدَى وَسُبُلِ الْهَوَى .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - و الدليل قوله تعالى هكذا يري
طلبة العلم على الدليل وقبل قال : العلم و هو معرفة الله و معرفة دينه و معرفة نبيه ، معرفة
الله و معرفة نبيه و معرفة دين الإسلام بالأدلة ، بالدليل و هنا أيضا يقول و الدليل أي على
ما سبق ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾^(٦) وجه الدلالة من هذه السورة على المسائل الأربعة كالتالي :

أما العلم : فهذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فبماذا آمنوا ؟ علموا ما يؤمنوا به فآمنوا، ﴿وَعَمِلُوا﴾ بماذا عملوا ؟ عملوا بما علموا فإذا هذا دليل العلم وأما العلم به فهم حققوا الإيمان فوصفهم الله بأنهم ﴿آمَنُوا﴾ و أيضا وصفهم بأنهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ و أنهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ و الصبر عليه فإذا هذا دليل العمل به .
وأما الدعوة إليه: فدليلها التواصي بالحق و التواصي بالصبر .
و أما الصبر على الأذى : فدليلها التواصي بالصبر .

إذا هذه المسائل الأربعة: العلم والعمل و الدعوة والصبر مع ظهورها إلا أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يريك ؛ يرينا نحن طلبة العلم على الدليل ، كل مفسد و فتان تستطيع أن توقف فتنته و إفساده بأن تقول له ما الدليل على ما أنت عليه ما الحجة على ما أنت عليه فإن هرب فاعلم أنه كذاب فتان وإن أتى بالحجة و كانت حجة ثابتة وكان الحق ظاهر فيجب قبوله و إلا فقله مردود عليه.

قال الشافعي -رحمه الله تعالى- : " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم " يعني الشافعي بهذا الكلام أن هذه السورة "سورة العصر" من حيث دلالتها على العلم و العمل و الدعوة و الصبر هي حجة كافية لو ما أنزل الله -عز وجل -من الآيات في هذه المعاني إلا هذه السورة، وليس المراد أنه لا ينزل الله إلا هذه السورة فقط -لا- و إنما إلا هذه السورة في هذه المعاني العلم و العمل و الدعوة و الصبر .

قال البخاري -رحمه الله تعالى-: "بابُ ، العلم قبل القول و العمل" واستدل بقوله تعالى و الدليل قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ ﴿١٩﴾^(٧) فبدأ بالعلم "فاعلم" قبل القول و العمل قبل قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والعمل بالاستغفار ، فمن عمل بلا علم كما يقول السلف "من عمل بلا علم كان يفسد أكثر مما يصلح" وقالوا "كيف يستقيم الظل و العود أعوج" و من عمل بلا علم أشبه حال النصارى الذين ضلوا عن الطريق المستقيم .



(٦) سورة العصر
(٧) سورة محمد (19)

و الذين ترهبوا وابتدعوا رهبانية واشتغلوا بالعبادة ولم يشتغلوا بالعلم ، العمل مطلوب والعبادة مطلوبة ولكن أن تكون على علم ، فلذلك قال البخاري -رحمه الله تعالى- "باب ، العلم قبل القول و العمل" و هذا فيه رد على الجماعات التي تدعو الناس بلا علم ، فهذه الجماعات ينبغي أن تدعو نفسها أولا للعلم قبل أن تدعو غيرها و أيضا في هذا القول "باب ، العلم قبل القول والعمل" رد على الذين يتصدرون قبل أن يتأهلوا علميا، قال البخاري-رحمه الله تعالى- "فبدأ بالعلم قبل القول و العمل " أي أن الله عز وجل بدأ بالعلم في قوله "فاعلم" قبل القول و العمل ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدَنبِكَ ﴾

ما الذي يريد أن يشير إليه البخاري و الإمام محمد بن عبد الوهاب يريد أن يركز على قضية العلم و أن تكون الحجة و الدليل هي نبراس وضياء ونور يهتدي به المسلم في طريقه إلا الله عز و جل، فالنبي صلى الله عليه و سلم كما قال الله عز و جل : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨) ^(٨) فما هي البصيرة : هي العلم و الحجة و الحكمة ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ إن كنت متبعا لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم - فاطلب الحجة واحذر بارك الله فيك من جعل الحجة قول فلان و فلان قال بن عباس "يوشك أن تسقط عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال الله قال رسوله تقولون قال أبو بكر قال عمر" .

إذا كان بن عباس -رضي الله عنهما - وعن جميع صحابة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لا يرتضي بقول أحد مع قول الله و قول رسوله يعني مع الحجة فكيف نقدم قول زيد أو عبيد من الناس على الحجج و الأدلة الشرعية إن هذا هو التعصب في صورة الإتياع أن هذا هو الجهل و الانحراف في صورة الاهتداء للحق موازين معكوسة و مقلوبة عند هؤلاء الناس الذين تأتيهم بالحق فيقول لك لا قال فلان نحن لسنا أعلم منه يا أخي طيب فلا أعلم من قال الله قال رسوله قال الصحابة -رضوان الله عليهم- يا أخي فلان هل قوله مقدم على الحجة والله للأسف نجد بعض الناس مهما تأتته بآية يعرض عنها إلا من رحم الله عز و جل فنسأل الله السلامة و العافية و نسأل الله -عز و جل- أن يجعلنا ممن يتبع الحجة و ممن يسير على الحجة على الدليل و يجعلنا ممن يتبع الحق و يتعد عن الباطل



(٨) سورة يوسف (108)

فاحرصوا بآرك الله فيكم في كل أمركم على لزوم الحق على لزوم السنة على لزوم ما كان عليه
سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.
أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقني وإياكم لما يحبه و يرضاه و صلى الله و سلم
على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

